الفصل الرابع

الواقعية الطبيعية

يرى بعض النقاد أن الواقعية الطبيعية امتداد للواقعية النقدية، فالدكتور محمد مندور يذهب إلى أن «هذا المذهب الذي يتزعمه إيمل زولا يعد تطوراً طبيعياً للواقعية»[١] النقدية. وكذلك الأمر بالنسبة إلى الدكتور محمد غنيمي هلال الذي يفهم من سياق كلامه عن هذا المذهب أنه يعده مواصلة لتطور الواقعية النقدية. بل إن الدكتور «هلالاً» لا يكتفي بهذا وإنما يجزم بأنه «لا فرق بين الواقعيين والطبيعيين إلا في المبدأ الذي تمسك به زولا في الانتهاء في القصص إلى نتائج أيدها العلم من قبل»[٢].

وربما كن التباس الأمر على هذين الناقدين وغيرهما يعود إلى ما كان يدعيه زعيم الواقعية الطبيعية «إيميل زولا» من أن مذهبه حلقة من حلقات تطور الواقعية النقدية، وشكل انتهت إليه هذه الأخيرة[٣].

والحقيقة أن الطبيعية ليست امتداداً للنقدية إطلاقاً، إن لها منهجها وأسسها، وخلفيتها التي تعتمد على محاكاة أسلوب العلوم التجريبية والأبحاث العضوية والفسيولوجية، التي تأثرت بها بشكل مباشر، كما أنها لا تختلف عن النقدية بميزة واحدة فحسب، بل تختلف عنها بعدة ميزات، ولا ندري لماذا تحسب الطبيعية على النقدية و«تؤخذ هذه الأخيرة بأخطائها وذنوبها»[٤] الكثيرة. وسوف تتضح لنا الهوة الواسعة بين المذهبين المذكورين من خلال استعراضنا لبعض ميزات الطبيعية:

١) تصدر الطبيعية عن فلسفة في يالحياة مؤداها أن الإنسان شقي شرير،